

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم
(وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين.
أما بعد، فإنّ مادة المكتبة ومنهج البحث تعد من المواد المهمة جدا لدى الدارسين من الطلبة
والباحثين على عدة مستويات لما لها من قيمة اساسية في تدريب طالب العلم وحثه على كيفية التعرف
على مصادر المعلومات التي تلبي اهتماماتة العلمية وتساعده في الوصول الى الغايات المنشودة ، ومن
خلال هذه المادة سيمرن الطالب على البحث العلمي وينطبع على المنهجية التي اتسمت بها ابحات
اسلافنا العلماء ، ويطلع على امهات المصادر والمراجع في العلوم الاسلامية وما يلحق بها ... ويحسن
الطالب الاستفادة منها والرجوع اليها عند الحاجة والانتفاع بها ،فضلا عن انها تشجع المواهب وتكون
الشخصيات العلمية من خلال البحث والعرض والتحليل والاستنباط والمناقشة ، لتتمازج الافكار والآراء
ويسمو بذلك التفكير ويحسن التعبير ، لينطلق من خلالها الطالب من الميدان النظري الى الميدان العملي
ومن حيز مقعد الدراسة والمحاضرة الى عالم المعرفة والمعلومات وطرائق البحث ،خدمة لطلبتنا
الاعزاء متمنيا لهم التفوق والنجاح الدائم .
وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تمهيد :

بسم الله الرحمن الرحيم ((اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الاكرم .
الذي علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم))^١

كانت هذه اول آيات بينات نزلت على سيدنا محمد الرسول الامين ، تنبئه بالرسالة ، وتحمله
مسئوليتها ، تصدع اول كلماتها بالقراءة وهي مفتاح التعلم ، وتنطق آياتها بتعليم الله عز وجل لعباده ما
لم يعلموا ، وتذكر القلم وسيلة الكتابة وحفظ العلم ونقله ، واله التعبير عما يجول في الخواطر . لقد
استرعى الله سبحانه وتعالى انتباهنا الى اهمية العلم ، في اولى آيات القرآن الكريم لأنه سبيل التحرر من
العبودية لغير الله ، والطريق القومية الى معرفة الله سبحانه وتعالى ، ومعرفة شرعه وحسن تطبيقه
والعمل به .

وحسبنا ان ننوه الآيات الاولى من دستور الاسلام بالعلم ، لنذكر اهتمام هذا الدين الحنيف به ، ولو
انا تأملنا فيما ورد القرآن الكريم من آيات تتناول العلم وفضله وسبله وما يلحق به ، وما ورد في السنة
النبوية الشريفة من مكانه العلم في الاسلام وادركنا اهتمامه الكبير به وتشجيع طلاب العلم وتحارب
الجهل وتطارده كما يطارد النور الظلام .

وقد ميز الله سبحانه وتعالى الانسان عن سائر مخلوقاته . ولهذا نرى كثيرا من الآيات تهيب بالإنسان
ان يستعمل عقله ويتدبر ويتفكر ، من هذا قوله تعالى ((انا جعلناه قرانا عربيا لعلم تعقلون))^٢ ، وقوله
((وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون))^٣ ، وقوله ((كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم
تتفكرون))^٤ ، وقوله ((وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس وما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون))^٥ .

وانا لنجد دعوة القرآن الكريم الى العلم والرفع من شأنه ماثوثة في كثير من آياته ، قال تعالى ((قل
هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون))^٦ .

وقد رفع الله مكانه العلماء في قوله عز وجل ((يرفع الله الذين امنو منكم والذين اوتو العلم درجات
)) وقال ((وفوق كل ذي علم عليم)) ومن خلال آيات القرآن الكريم ما للعلم والعلماء من اهمية كبيرة
في الدعوة الى الله سبحانه وتعالى وتوجد العديد من الدلائل في القرآن الكريم التي تدل على منزلة العلم .
اما نبينا الكريم فقد حض عليه الصلاة والسلام على طلب العلم وبيّن منزلة العلماء فقال عليه الصلاة
والسلام ((من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين))^٧ وجعل طلب العلم الشرعي الذي يحتاج اليه كل مسلم
ليقيم امور دينه فريضه على كل مسلم .

^١ سورة العلق ١-٥ .

^٢ سورة الزخرف :٣ .

^٣ سورة العنكبوت ٤٣ .

^٤ سورة الانعام ٥٠ .

^٥ سورة النحل ٤٤ .

^٦ سورة الزمر ٩ .

^٧ اخرجه الامام احمد عن ابي هريرة .مسند احمد ج ١٢ ، ص ١٨٠ حديث ٧١٩٣ .

وللعلماء منزلة كبيرة من ارفع المنازل في الاسلام بنص قول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ((العلماء ورثة الانبياء))^٨ ولم يرفعهم الى هذه المنزلة الرفيعة الا علمهم وعملهم به وتعليمهم وارشادهم الامة .

من هنا نبين لكم بان الاسلام حث على احترام اهل العلم ، على لسان سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم فقال ((ليس من امتي من لم يجلّ كبيرنا ، ويرحم صغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه))^٩ واخيرا فان كما للعلماء من اجر في الاسلام لتعليمهم وتوجيههم وحرصهم على بيان الحق فان لطلاب العلم اجرا لتوطين نفوسهم على طلب العلم وهذا واضح في قوله صلي الله عليه وسلم ((من غدا الى المسجد لا يريد الا ان يتعلم خيرا ، او يعلمه ، كان له كأجر حاج تاما حجته))^{١٠} .

الكتابة في العصر النبوي وصدور الاسلام :

مما لا شك فيه بان الكتابة انتشرت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على نطاق اوسع مما كانت عليه في الجاهلية فقد حث القران على التعلم وحض الرسول عليه الصلاة والسلام على ذلك ايضا واقتضت طبيعة الرسالة ان يكثر المتعلمون : القارئون ، الكاتبون ، فالوحي يحتاج الى كتاب ، وامور الدولة من مراسلات وعهود ومواثيق تحتاج الى كتاب ايضا . وقد كثر الكاتبون بعد الهجرة النبوية عندما استقرت الدولة الاسلامية وارست قواعدها القوية في المدينة فكانت مساجد المدينة الى جانب مسجد الرسول محمد صلي الله عليه وسلم ، محط انظار المسلمين يتعلمون فيها القران الكريم وتعاليم الاسلام والقراءة والكتابة وقد تبرع المسلمون الذين يعرفون القراءة والكتابة بتعليم اخوانهم و لا يفوتنا غزوة بدر في تعليم صبيان المدينة ، حينما اذن الرسول صلى الله عليه وسلم لأسرى بدر بان يفدي كل كاتب منهم نفسه بتعليم عشرة من صبيان المدينة القراءة والكتابة .

ثم اتسع نطاق التعليم وانتشر في الافاق الاسلامية بانتشار الصحابة رضوان الله عليهم وكثرت حلقاتهم وانتظمت في المساجد وكثر المعلمون وانتشرت الكتابيب في مختلف انحاء الدولة الاسلامية . وكان لانتشار الكتابة الاثر الكبير في تدوين العلم وحفظه واول ما دون في عهد الرسول صلي الله عليه وسلم ، ما كان ينزل به الوحي من القران الكريم والوثائق والمعاهدات والكتب الى الولاة وغير ذلك مما تحتاج اليه الدولة ، كما دون جانب من الحديث النبوي في عهد الرسول صلي الله عليه وسلم على يد من سمح له بكتابه كعبدالله بن عمرو بن العاص ، اتبع ذلك اهل العلم بتدوين كل ما له علاقه بالشرعية وعلومها .

^٨ مجمع الزوائد ج١، ص ١٢١ .

^٩ نفس المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

^{١٠} نفس المصدر السابق ص ١٢٣ (تاماً حجته) .

المكتبات : نشاتها وتطورها :

يمكن تعريف المكتبة بأنها مكان يحوي مجموعة من الكتب التي تعتبر من وسائل المعرفة نظمت تنظيماً فنياً يسهل الوصول إلى محتوياتها واستخدامها ، وتعد المكتبة من أهم المؤسسات الثقافية ، وهي مستودع العلم والثقافة والمعرفة بجميع أنواعها، كما أن كثرة المكتبات وتنوعها وكثرة المترددين عليها ظاهرة تدل على وعي الأمة ورقبتها وحبها للعلم والمعرفة. ولقد امتازت الحضارة الإسلامية قديماً وحديثاً بحبها للعلم واهتمامها بالكتب والمكتبات ونشرها للعلم والعلوم وقد كان الدافع الأساسي وراء هذا الاهتمام هو حث الإسلام المسلمين على العلم والترغيب فيه، وبيان فضلة وفضل المشتغلين به ، ومع ازدهار حركة التأليف في مختلف مجالات العلوم والمعرفة وخاصة ما يخدم القرآن والسنة والفقهاء ومع انتشار الإسلام في كثير من بقاع الأرض وتعرف المسلمين على معارف وعلوم وثقافات جديدة ازدهرت الكتب والمكتبات وأخذت المكتبات مكانها اللائق بها، وأصبحت من العلامات البارزة والمميزة في تاريخ الحضارة الإسلامية فأصبح منها ينبع الفكر والمعرفة وإليها تهفو قلوب عشاق العلم من الخلفاء والأمراء ومحبي العلم والمعرفة من أدباء وعلماء ومفكرين وباحثين.

وقد ساعد على انتشار المكتبات وازدهارها اهتمام الخلفاء والأمراء بها وتشجيع القائمين عليها ودعمهم السخي لكل ماله علاقة بالكتب من حيث تأليفها والمحافظة عليها ونسخها ونشرها وما إلى ذلك. وقد كانت المكتبات حين ذاك تسمى (خزائن الكتب)، وقد تعددت المكتبات وتنوعت منذ بزوغ فجر الحضارة الإسلامية فكانت هنالك مكتبات الخلفاء والأمراء ومكتبات المساجد ومكتبات العلماء ومعاهد العلم ومكتبات عامة وغير ذلك من الأنواع، وكان لهذه المكتبات أناس يقومون على رعايتها والاهتمام بها من حيث ترتيب الكتب وتنظيمها والمحافظة عليها من الضياع أو التلف كما أن كثير من المكتبات كانت تحوي أماكن خاصة لنسخ الكتب وتجليدها وترميمها. ولا يتسع المجال هنا لذكر الكثير عن تلك المكتبات، ولكن تكفي الإشارة إلى أن بعض تلك المكتبات كانت في عصرها بمثابة أعظم من أي مكتبة موجودة في عصرنا الحاضر. ونذكر على سبيل المثال مكتبة (دار الحكمة) التي أسسها هارون الرشيد عام (١٤٩-١٩٣ هـ) حيث كانت هذه المكتبة من أكبر وأشهر خزائن الكتب في العهد العباسي ، وكذلك مكتبة دار العلم التي أنشأها الفاطميون في مصر حيث كانت من أكبر معاقل العلم والمعرفة في عصرها. علاقة المكتبة بفروع الثقافات المختلفة:

أصبحت المكتبات في وقتنا الحاضر من أهم المؤسسات التي تنشر الثقافة والمعرفة والتربية بين جميع أفراد المجتمعات بنسب متفاوتة كما أنها تساهم مساهمة جلية في حفظ التراث المخطوط والمطبوع بالإضافة إلى جوانب ووظائف أخرى تقوم بها مثل الوظائف الاجتماعية وغيرها، فقد مضى العهد الذي كانت تعتبر فيه المكتبة مخزناً للكتب أو مظهراً من مظاهر التفاخر التعليمي التي تحرص فيه على الزخارف والشكل ودون الجوهر والمخبر. لقد أصبحت المكتبة في مفهومها التربوي الحديث جزءاً لا يتجزأ من العملية التعليمية ذاتها، وجزءاً من البرنامج الدراسي والمنهج التعليمي .

وظائف المكتبة الاساسية :

فالمكتبات تهتم بجميع مجالات المعرفة ولها وظائف أساسية تقوم بها من أجل نشر الفائدة المرجوة منها وهي :

١. وظيفة تثقيفية: تتمثل في الحرص على توفير المواد وتقديم الخدمات التي تكفل للمستفيد منها تنمية الذوق الفني والجمالي ، فضلاً عن التكيف مع ظروف المجتمع.
٢. وظيفة تعليمية: تتمثل في دعم المنهج الدراسي التعليمي بالمراجع الأساسية بالمواد.
٣. وظيفة إعلامية: تتمثل في الحرص على توفير مقومات الإحاطة بالأحداث الجارية والقضايا التي تهتم مجتمع المستفيدين ، والتحديات التي تواجه الأمة الإسلامية.
٤. وظيفة ترويحية: تتمثل في الحرص على المواد التي يمكن أن يستفيد منها أفراد المجتمع من خلال إزالة وقت الفراغ في التسلية المفيدة سواء كانت عن طريق قراءة الكتب أم المجلات العامة أم المطبوعات بوجه عام أم عن طريق التسجيلات السمعية او البصرية .

إن المكتبة هي مركز التعليم مدى الحياة فهي تقدم المعرفة بجميع أنواعها ومجالاتها لمختلف الأعمار وجميع مستويات الثقافة، فالمكتبة لها أهميتها الثقافية والتعليمية سواء بعد انتهاء الطلاب من دراستهم أو أثناءها ، فهي تحوي نتائج خبرات وتجارب وأفكار السابقين في العلوم المختلفة بحيث لا يستغني عنه طالب العلم والمعرفة ، فهناك معلومات أساسية يحتاجها الطالب على جميع المستويات ، فالكيميائي مثلاً لا بد أن يعرف الكثير من المعادلات الأساسية ورجل التاريخ يجب أن يتذكر الكثير من الحقائق حتى يكون لديه معين أو أساس لفكره ، ونفس الشيء بالنسبة لمختلف التخصصات ، أي أن هناك مستويات أساسية للمعرفة لا بد من تحقيقها؛ وإذا علمنا على سبيل المثال أن أكثر من ٩٠% من الرسائل العلمية في مجالات العلوم الاجتماعية والإنسانية يمكن كتابتها من المكتبة لتبين لنا أهمية وجود الخدمات المكتبية والتوثيقية والإعلامية على أعلى مستوى ، لأنها في هذه الحالة ستعاون الباحثين في تقديم المعلومات التي يطلبونها لكتابتهم رسائلهم وأطروحاتهم.

أما بالنسبة لمجالات العلوم الطبيعية كالهندسة والطب والكيمياء وغيرها فليس المختبر هو بداية البحث بالنسبة للعالم ، بل إن المكتبة هي بداية البحث حيث يقوم بعمل بحوث الإنتاج الفكري حيث يبدأ في معمله من النقطة التي انتهى إليها عالم ما في مكان ما من الأرض. وليس ذلك بالشيء اليسير أو الهين فكثيراً ما تنفق الحكومات الأموال الطائلة من أجل بحوث معينة وبعد سنوات عديدة من الجهد و الوقت والمال يتبين أن تلك البحوث ليست أصلية وأن الحقائق و المعلومات التي توصلت إليها قد تم اكتشافها بل وتطبق نتائجها على نطاق واسع منذ سنوات عديدة وهذا لا يحدث في البلدان النامية فقط بل قد حدث بالفعل في البلاد العظمى كالولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي سابقاً وهي البلاد التي لديها إمكانات عظمى في العلم والتكنولوجيا.

وهذا وتقوم كل انواع المكتبات بعدد من الاجراءات الخاصة بمصادر المعلومات والتي لا بد منها لغرض ائصال المعلومات الى الباحثين في مختلف مستوياتهم التعليمية والبحثية، وتتمثل هذه الاجراءات بالاتي :

١. اقتناء المجموعات (اي مصادر المعلومات بمختلف اشكالها وانواعها) في المكتبات عن طريق الشراء او التبادل والاهداء او عن اي طريق اخر .

٢. تنظيم هذه المصادر وفق خطط تصنيف معتمدة ومن ثم فهرستها بشكل يسهل وصول الباحثين اليها .

٣. وضع اليات محددة تساهم في كيفية الاستفادة والتعرف على مصادر المعلومات المتاحة في المكتبة .

٤. بث ونشر مصادر المعلومات من خلال تقديم الخدمات بشكل مباشر او غير مباشر كإعارة مصادر المعلومات الى الطلبة والباحثين .